الدَرْسِ السّابِعُ عشر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ أنفسنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بَعْد؛

فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، ثم يا معاشر الفضلاء اعلموا أن هذه المدينة هي طيبة وطابة، كما سماها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد طابت بالإسلام، وطابت بالتوحيد والسنة، وطابت برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وطابت بالمسلمين، فلا يدخلها إلا مسلم، وهي طيبة لا تقبل إلا طيبًا، وتنفي خبثها، فيا من دخلت المدينة كن طيبًا، كن طيبًا في توحيدك، كن طيبًا في عبادتك، كن طيبًا في أخلاقك، كن طيبًا في معاملتك لأهل المدينة.

وإياك والخبيث، إياك أن تعمل الخبيث، وإياك أن تكون خبيثًا، واعلم أن أخبث الخبيث وأفجر الفجور وأظلم الظلم الشرك بالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فاحذر أن تشرك بالله شيئًا وأنت تعلم واستغفر الله مما لا تعلم، احذر أن تشرك بالله في مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شركًا أكبر، كأن تدعو

غير الله، كأن تدعو ملكًا مقربًا أو نبيًا مرسلًا أو عبدًا صالحًا ولو زعمت أنه وسيلة بينك وبين الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فإن هذا من الشرك الأكبر، وكأن تستغيث بغير الله عَزَّ وَجَلَّ فيما لا يقدر عليه كأن تستغيث بميت أو غائب أو تستغيث بحي لا يقدر على ما تطلبه منه، فإن هذا من الشرك الأكبر، وكأن تتوكل بقلبك على غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، واحذر الشرك الأصغر كأن تقسم بغير الله، فإن من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك، فاحذر حذرًا شديدًا وأنت في مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن تقول والنبي أي والرسول أي والرسول، أو وحياة أولادي، أو تقول: ورأس أبي، فإن هذا من الشرك الأصغر، ومن الخبث العظيم الابتداع في دين الله عَزَّ وَجَلَّ، والعمل بالبدع كلها، فاحذر البدع، ولا سيما وأنت في مدينة السنة احذر أن تبتدع بدعة أو تعمل ببدعة، وأنت في مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن الخبث العظيم: الكبائر فتأدب يا عبد الله، وطب في مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ باجتناب الكبائر كلها، فإياك والغيبة، وإياك والنميمة، وإياك والسعي في الإفساد، وإياك والكذب، وإياك والزنا، واحذر الكبائر كلها، وجاهد نفسك على ترك الصغائر، والبعد عنها، فإن من تلبس بخبيث من تلك الخبائث كان متوعدًا بأن تنفيه المدينة، وأن تركضه المدينة، وأن تخرجه المدينة، وكان متوعدًا بسوء الحال وسوء العذاب، فقد قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المدينة حرم ما بين عير إلى ثور، من أحدث فيها حدثًا أو آوى فيها محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلًا يوم القيامة»، فهذه المدينة الطيبة التي حرمها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أحدث فيها حدثًا أو أعان فيها محدثًا على الإحداث فإنه متوعد والعياذ بالله بلعنات الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بأن يطرد من رحمة الله، وبدعاء الملائكة عليه باللعنة، وبدعاء الناس عليه باللعنة، وألا يقبل الله منه يوم القيامة فريضة تقرب بها أو نافلة تقرب بها إن مات على الإحداث في مدينة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عياذًا بالله من سوء الحال.

فيا من أكرمك الله ويسر لك الوصول إلى طيبة فكنت في طيبة وطابت أيام بوصولك إلى طيبة كن طيبًا، وابتعد عن الخبث كله، ثم احمل هذا الطيب معك إلى بلدك فكن في بلدك موحدًا، قائمًا بحق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وقائمًا بحق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى السنة، واجتنب الكبائر كلها،

وجاهد نفسك في ترك الصغائر لتعيش في سبيل الله عَزَّ وَجَلَّ، فإن العيش في سبيل الله من أعظم الجهاد في سبيل الله، وقد يكون العيش في سبيل الله أصعب على المؤمن من الموت في سبيل الله، لأن الموت لحظة، وأما العيش فيحتاج إلى جهاد ومثابرة في كل لحظة، ومن عاش في سبيل الله عاش حميدًا، ومات حميدًا، وبعث حميدًا، وكان مآله إلى الجنة، يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خيركم من طال عمره وحسن عمله»، وكان في زمن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أخوان أسلما معًا، وكان أحدهما أشد اجتهادًا من الآخر، فجاهد في سبيل الله فقتل، واستشهد في سبيل الله وعاش أخوه الآخر بعده سنة ثم مات، فرأى أحد الصحابة رؤيا تعجب منها الصحابة، حيث رأى الأخوين عند باب الجنة، فخرج خارج من الجنة فأذن لمن مات أخيرًا على فراشه بدخول الجنة ثم خرج مرة أخرى فأذن لمن استشهد في سبيل الله بدخول الجنة.

فتعجب الصحابة رضوان الله عليهم كيف يسبق من مات على فراشه من مات شهيدًا في سبيل الله، فبلغ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «ما تعجبون أوليس قد عاش بعده سنة، فصلى لله كذا سجدة، وصام رمضان؟» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «فو الذي نفسي بيده إنما بينهما كما بين السماء والأرض» أو كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له، ومن كانت الآخرة نيته فعاش في سبيل الله، ومن كانت الآخرة نيته جمع الله عليه أمره، وجعل غناه في قلبه، وأتته الدنيا وهي راغمة»، فيا عبد الله يا من أكرمك الله بأن أمد في عمرك وأعطاك الفرصة لتزداد عبادة له، ولتسلم قلبك إليه احمد الله على هذه النعمة واشكر الله على هذه النعمة، وكن من خير عباد الله، من الذين يغتنمون طول العمر في زيادة العمل الصالح والتخلص من السيئات والذنوب، ما مضى منها بالتوبة الصادقة، وما بقي منها بالتوبة الصادقة.

فالتوبة جب للذنوب الماضية، وإقلاع عن الذنوب الحاضرة، يا من أكرمك الله فأنعم عليك، ويسر لك الحج إلى بيته الحرام واجتهدت في الطاعة، وأنت معترف بتقصيرك وترجو من ربك الكريم الرؤوف الرحيم أن ترجع إلى بلدك، كما ولدتك أمك، قد تخلصت من ذنوبك السابقة احرص رعاك الله على أن تكون في حياتك القادمة على بصيرة ونور، وتوحيد وسنة، وإقبال على الطاعة، ونفور عن

المعصية، لتكون من المفلحين، واعلم أن من أعظم علامات قبول الحج أن تكون بعد الحج أحرص على الأعمال الصالحة منك قبل الحج، وأبعد عن السيئات منك قبل الحج، فإن هذا من علامات قبول حجك، فاحرص أن تكون ذلك العبد الذي أرضى ربه بالحج، ويسعى إلى إرضاء ربه بصلاح حاله بعد الحج، تعلم من الحج أن تتقي الله عَزَّ وَجَلَّ فأنت كنت في الحج تترك أخذ شعرك، وقلم ظفرك، وجماع زوجتك، تخاف الله عَزَّ وَجَلَّ وترجو ثواب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فاجعل ذلك في حياتك كلها، اترك ما حرمه الله عليك، لأنك تعلم أن الله يراك، ويسمع كلامك، فإذا همت نفسك بالمعصية فذكر نفسك أن الله الآن يراك وأنت تفعلها أو توشك أن تفعلها، وأن الله يسمع كلامك، فاستحي من الله حق الحياء، واترك الذنب حياءً من ربك وخوفًا من ربك، ورجاء ما عند ربك.

إذا دعتك نفسك الأمارة بالسوء وشياطين الإنس والجن إلى أن تترك واجبًا افترضه الله عَزَّ وَجَلَّ عليك فتذكر أن الله عَزَّ وَجَلَّ يراك، ويسمع كلامك، فكيف تعصي الله عَزَّ وَجَلَّ بترك الواجب؟ ولا تستحي من ربك، فيعينك ذلك إن شاء الله على أم تكون من خير عباد الله عَزَّ وَجَلَّ، يا ليتنا معاشر المؤمنين وقد أنعم الله علينا بالحج نجعل الحج مدرسة حياتنا كلها، ونحرص في قابل أيامنا على أن نكون حجاجًا محرمين عن معاصي الله، مقبلين على طاعة الله، فإنا قد تعلمنا من الحج أن كل شيء في الدنيا يمر الحلو فيها يمر، والمر فيها يمر، انتظرنا الحج سنين، ثم تيسر لنا وحججنا، وكل هذا قد مضى، وكل هذا قد انقضى، لكن الذي يبقى هو أثر العمل، أثر العمل في قلوبنا، وأثر العمل في صحفنا، التي سنلقاها عند ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

ما فائدة حياة بمعصية؟ ما فائدة حياة ببعد عن الطاعة؟ والله إنه الموت الزؤام، وإن كان الإنسان يتكلم ويضحك ويتنفس ويأكل ويشرب، فإنه أشد موتًا من الأموات، فما الحياة إلا في طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ، ما الحياة إلا في طاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما الحياة إلا في أن تعمر الحياة الدنيا بطاعة الله عَزَّ وَجَلَّ بأن تكون خليفة في الأرض حقيقة كما أراد الله عَزَّ وَجَلَّ لك، فيا عبد الله يا عبد الله أقبل على طاعة الله واترك معاصي الله فإن الموت قريب، إن الموت قريب، وإن الدنيا مهما طالت زائلة، ومهما أحلوت فإن فيها مرارة، وإن للعصاة من ورائها مرارة، نعوذ بالله من سوء الله، فأسأل

الله عَزَّ وَجَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا صدق المقال، وصلاح الحال، والإخلاص في الحاضر والمآل، وأن يجعلنا من عباده الصالحين، اللّٰهم إنا نعوذ بك من أن نعود إلى ذنب تركناه، اللّٰهم إنا نعوذ بك من أن نعود إلى ذنب تركناه، اللّٰهم إنا نعوذ بك من أن نعود إلى ذنب تركناه.

اللّٰهم إنا نعوذ بك أن نبقى على ذنب ونقيم عليه، اللّٰهم إنا نعوذ بك أن نبقى على ذنب ونقيم عليه، اللّٰهم إنا نعوذ بك أن نبقى على ذنب ونقيم عليه، اللّٰهم ارزقنا رضاك والجنة، اللّٰهم ارزقنا رضاك والجنة، اللّٰهم ارزقنا رضاك والجنة، ربنا آتنا في الدنيا حسنة في الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، واجعلنا مخلصين لك في أقوالنا واجعلنا مخلصين لك في أعمالنا، اللّٰهم إنا نعوذ بك من الرياء والنفاق، اللّٰهم إنا نعوذ بك من الرياء والنفاق، اللّٰهم إنا نعوذ بك من الرياء والنفاق، اللّٰهم اغفر لنا ولوالدينا وأهلينا، ولذرياتنا، ولمن نحب يا رب العالمين، اللّٰهم يا ربنا كما جمعتنا في الحج وكما جمعتنا في مسجد رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اجمعنا وأهلنا وذرياتنا ومن نحب ووالدينا في الفردوس الأعلى أجمعين، اللّٰهم لا تحرم منا أحدًا، اللّٰهم لا تحرم منا أحدًا، اللّٰهم لا تحرم منا أحدًا، اللّٰهم أحينا على الصالحات، وارقنا حسن الختام يا رب العالمين.

ثم يا معاشر الفضلاء إن درسنا كما علمتم وفهمتم هو في شرح كتاب الحج من صحيح مسلم، ولا زلنا نقرأ في الروايات التي أوردها الإمام مسلم في قصة أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا في حجها، وما وقع في الحج مما روته وأخبرت به رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها، حيث أن المسلمين في السنة العاشرة علموا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيحج فقدم إلى المدينة بشر كثير، كلهم يريد أن يأتم برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وخرجوا من المدينة في موكب عظيم، وعدد كبير، يريدون ذو الحليفة، ومعهم أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وكان في خروجهم لا يذكرون إلا الحج، ولا يريدون إلا الحج، ولا يعرفون في أشهر الحج إلا الحج، ويتحدث بعضهم مع بعض بالحج، فلما وصلوا ذي الحليفة وبات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في ذي الحليفة قال للناس مبينًا لهم الأنساك: «من أراد أن يهل بعمرة فليفعل، ومن أراد أن يهل بحج فليفعل، ومن أراد أن يهل بعمرة وحج فليفعل»، فامتثل الصحابة، فمنهم من أهل بعمرة، ومنهم أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها، ومنهم من أهل بعمرة وحج، ومنهم من أهل بحج فقط، وهؤلاء هم أكثر الصحابة مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومنهم الغني الذي ساق الهدي، ومنهم من لم يسق الهدي، وهؤلاء أكثر من مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فانطلق الموكب العظيم من ذي الحليفة وهم يلبون ويرفعون أصواتهم بالتلبية، وفي الطريق حث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من لم يسق الهدي أن يجعل حجه عمرة، وأمر من ساق الهدي أن يلزم نسكه، إلا أن يكون قد نوى العمرة، فإنه أمره أمر إلزام بأن يدخل الحج على العمرة ليصير قارنًا، ولما اقترب الركب من مكة فأوشكوا على دخول مكة في وادٍ يقال له: سرف على طريق المدينة قريب من التنعيم، حاضت أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فدخل عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي تبكي، فقال: «أحضت؟» قالت: نعم، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أمسك لعلك الله أن يكتبها لك»، أي ابقي على عمرتك لعل الله أن يكتبها لكِ، رجاء أن تطهر قبل يوم عرفة، فدخلوا مكة، وطاف الصحابة وسعوا، فأمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر إلزام من لم يسق الهدي أن يتحلل.

فيجعل ما فعل عمرة، وبقيت أمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لم تصنع شيئًا لم تطف ولم تسع لأنها حائض، حتى كانت ليلة عرفة، فاشتكت إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنها لا تزال حائضًا، وكيف تصنع في حجها، فأمرها أن تدع العمرة المفردة وأن تمتشط وتغتسل للإحرام وتلبي بالحج لتصير قارنة، ففعلت ذلك وهي في عرفة، فامتشطت واغتسلت للإحرام، وصارت قارنة، وبعد أن فرغت من حجها استأذنت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أن تأتي بعمرة مستقلة بعد حجها، فأذن لها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد تقدم معنا كثير من روايات هذه القصة وعلقنا عليها، ونُكمل إن شاء الله عَزَّ وَجَلَّ ما رواه الإمام مسلم من طرق لهذا الحديث الذي وردت فيه هذه القصة.

[المتن]

قال الإمام مسلم رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في صحيحه:

١١٨ - (١٢١١) حَدَّثَنَا يَحْيَىٰ بْنُ يَحْيَىٰ، قَالَ: قَرَأْتُ عَلَىٰ مَالِكٍ، عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ نَوْفَلٍ، عَنْ عُرْوَةَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ، فَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ، وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ، وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِالْحَجِّ، وَأَهَلَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَجِّ، فَأَمَّا مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ فَحَلَّ، وَأَمَّا مَنْ أَهَلَّ بِحَجٍّ أَوْ جَمَعَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، فَلَمْ يَحِلُّوا، حَتَّىٰ كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ.

[الشرح]

هذه متابعة لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وجاء فيها أنها قالت: (خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ حَجَّةِ الْوَدَاعِ)، أي من المدينة، (فَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ، وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِحَجٍّ وَعُمْرَةٍ، وَمِنَّا مَنْ أَهَلَّ بِالْحَجِّ)، أي من الميقات بعد أن خيرنا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قالت: (وَأَهَلَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَجِّ)، ظاهر هذا التقسيم: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحرم بالحج مفردًا، وقد جاء ذكر هذا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن عائشة كما هنا، وعن ابن عمر، وعن جابر رضي الله عنهم أجمعين بأسانيد صحيحة؛ أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل بالحج مفردًا.

وذهب إلى هذا الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، والشافعي في قول، ذهبوا إلى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حج بالإفراد، وجاء عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قوله: تمتع نبي الله فتمتعنا معه، كما عند مسلم، وجاء مثل هذا أيضًا عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بأسانيد صحيحة، وإلى هذا ذهب الشافعي في قول وبعض الشافعية وبعض الحنابلة، قالوا: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حج متمتعًا، وجاء عن عدد كبير من الصحابة في أحاديث كثيرة جدًا صحيحة أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حج قارنًا، وذهب إلى هذا الحنفية والشافعي في قول، وأحمد في المنصوص عنه، وأكثر الحنابلة وجماعات من كبار العلماء كابن حزم وابن حجر والنووي وابن تيمية وابن القيم، ذهبوا إلى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حج قارنًا، والمعلوم يا معاشر الفضلاء أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما حج بعد البعثة حجة واحدة، ولا يمكن أن يكون قد حج في هذه الحجة بالأنساك الثلاثة، بل حج بنسك واحد.

وهذه الروايات صحيحة، فلا بد إما من الترجيح أو الجمع، فرجح بعض العلماء ما رأوا أنه الراجح، وجمع بعض العلماء بين الروايات، والجمع مقدم على الترجيح، ما أمكن، وهذه الروايات يُمكن أن يُجمع بينها، وقد جمع بعض أهل العلم بينها بأن من قال من الصحابة: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل بالحج أو قال: أهل بالحج مفردًا فمراده أفرد أعمال الحج، يعني لم يعمل أعمالًا مفردة للعمرة، فكل أعماله كانت أعمال الحج، غير أنه أهدى، وهذا كما تعرفون هو القران، القران أعماله أعمال الحج فقط، لكن يختلف عن الإفراد في شيئين: في النية؛ بأن ينوي عمرة وحج، وفي الهدي.

فمن قال: أهل بالحج مفردًا أي لم يعمل إلا أعمال الحج، وهذا الذي فعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لكنه لم يكن مفردًا بالحج، وإنما كان قارنًا، وقال بعض أهل العلم: إن من قال: إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهل بالحج مفردًا مراده أنه بدأ فأهل بالحج من الميقات، ثم أدخل عليه العمرة، يعني في الميقات قالوا: أهل بالحج: لبيك اللّٰهم حجًا، ثم بعد ذلك أدخل العمرة على الحج، ولكن هذا بعيد، لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثبت عنه عند البخاري أنه قال في ذي الحليفة وهو في وادي العقيق: «آتاني الليلة آت من ربي وقال: صل في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة»، فهل يتصور يا إخوة أن الله يرسل جبريل عليه السلام ليأمر نبيه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أن ينوي عمرة في حجة أن ينوي القران ويخالف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك ويحرم بالحج فقط؟ هذا لا يكون أبدًا.

فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحرم بالعمرة والحج من الميقات من ذي الحليفة، ولا نتردد في هذا، وقال بعض أهل العلم: مراد من قال: إنه أهل بالحج مفردًا أنه كان عند خروجه من المدينة يذكر الحج، ولا يذكر العمرة، ويقول: سنحج ويحدث أصحابه بالحج، فلما وصل الميقات وأمر بأن يقول: عمرة في حجة، قال: لبيك عمرة في حجة، فهذا حكاية عن حاله قبل الإحرام قبل الميقات، أهل بالحج، وهذا قريب، والأول يعني أظهر، ولا مانع من الأمرين أن يكونا قد حصلا ويكون هذا المراد، أعني في هذه الروايات، وقال بعض أهل العلم: لعل الذي قالوا: أهل بالحج سمعوا منه الحج ولم يسمعوا العمرة لأن الناس كانوا كثيرين، فلما قال: لبيك اللّٰهم حجًا سمع الراوي هذا، ولم يسمع ذكر العمرة لضجيج الناس، ولكن هذا بعيد، لماذا؟ لأن الذين رووا الإفراد قد رووا القران والتمتع، عائشة وابن عمر وجابر رضي الله عنهم رووا عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه حج متمتعًا، وبعضهم روى أنه حج قارنًا.

فما يمكن أن نقول: إنهم ما سمعوا إلا الحج، وأما من قال: تمتع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن مراده بالتمتع القران، لأن القران في الشرع وفي لسان السلف تمتع، **لأن القارن يتمتع بأمرين:**

الأمر الأول: أنه يجمع العمرة والحج في سفرة واحدة، فما يحتاج إلى سفرتين.

والأمر الثاني: أنه يتمتع بأعمال الحج وثواب العمرة، يعني يعمل أعمال الحج فقط مع الهدي وينال ثواب الحج وثواب العمرة، فيزداد فضلًا بدون زيادة عمل، وهذا تمتع، فقال العلماء: إن المتمتع يتمتع

بأمرين: فإن كان على ما اصطلح عليه عند الفقهاء بالتمتع وهو أن يعتمر عمرة مستقلة ثم يحج من عامه فهو يتمتع بأمرين، ما هما؟ أنه يجمع الحج والعمرة في سفرة واحدة، ويتحلل بعد العمرة، فيتمتع بالإحلال، والقارن يتمتع بأمرين:

الأمر الأول: أنه يجمع بين الحج والعمرة في سفرة واحدة، فهنا يجتمع التمتع والقران.

والأمر الثاني الذي ينفرد به القران عن التمتع الاصطلاحي: أن القارن يتمتع بثواب الحج والعمرة بأفعال الحج، غير أنه يزيد الهدي، فالسلف كانوا يسمون القران تمتعًا، فمرادهم القران، ومن رووا القران فهو على وجهه، وهذا هو الراجح البين الظاهر أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حج قارنًا، والجمع بين روايات الصحابة سهل وممكن على ما ذكرناه وبيانه.

قالت: (فَأَمَّا مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ فَحَلَّ)، أي أن من أهل بعمرة ولم يسق الهدي، كما دلت عليه الروايات الأخرى، طاف وسعى وتحلل قصر من شعره ولبس ثيابه، أما من أحرم بالعمرة وساق الهدي ماذا صنع؟ أدخل الحج على العمرة وصار قارنًا بأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما تقدم معنا في الروايات الماضية، إذًا من أحرم بالعمرة من المدينة إما أنه لم يسق الهدي وإما أنه ساق الهدي، أما من لم يسق الهدي فإنه طاف وسعى وقصر ويتحلل، أما من ساق الهدي فإنه أدخل الحج على العمرة، وصار قارنًا، فطاف وسعى ولم يقصر، ولم يتحلل، كما فعل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنه كان قارنًا، أعني النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كان قارنًا وهذا الذي أحرم بالعمرة أولًا ثم أدخل عليها الحج صار قارنًا.

قالت: (وَأَمَّا مَنْ أَهَلَّ بِحَجٍّ أَوْ جَمَعَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ، فَلَمْ يَحِلُّوا، حَتَّىٰ كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ)، مرادها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها: أن من أفراد الحج أو حج قارنًا وساق الهدي لم يحل حتى يوم النحر، لا تريد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها أن كل من أفرد الحج أو قرن لم يحل حتى يوم النحر، لا، لأن الناس مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذين أهلوا بالحج من ذي الحليفة أو بالقران من ذي الحليفة أيضًا على قسمين: قسم ساق الهدي معه، فهؤلاء طافوا وسعوا ولم يقصروا، ولم يتحللوا إلا يوم النحر، وقسم لبى بالحج منذ ي الحليفة مفردًا، أو لبى بالقران من ذي الحليفة لكنه لم يسق الهدي، فلما بلغوا مكة طافوا وسعوا

فأمرهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يتحللوا، وأن يجعلوها عمرة، فقصروا وأحلوا وهم في مكة قبل يوم النحر.

والروايات يفسر بعضها بعضًا، إذًا قول أمنا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (فَأَمَّا مَنْ أَهَلَّ بِعُمْرَةٍ)، زيدوا عليه: ولم يسق الهدي فحل، (وَأَمَّا مَنْ أَهَلَّ بِحَجٍّ أَوْ جَمَعَ الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ)، زيدوا عليه: وساق الهدي، طبعًا نحن لا نزيد في الرواية لكن نزيد في السياق حتى نفهم، وساق الهدي، (فَلَمْ يَحِلُّوا، حَتَّىٰ كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ).

[المتن]

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى:

١١٩ - (١٢١١) حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ، وَعَمْرٌو النَّاقِدُ، وَزُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، جَمِيعًا عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ عَمْرٌو: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نَرَىٰ إِلَّا الْحَجَّ، حَتَّىٰ إِذَا كُنَّا بِسَرِفَ، أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا، حِضْتُ فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: «أَنفِسْتِ؟» - يَعْنِي الْحَيْضَةَ قَالَتْ - قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «إِنَّ هَذَا شَيْءٌ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، فَاقْضِي مَا يَقْضِي الْحَاجُّ، غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّىٰ تَغْتَسِلِي» قَالَتْ: وَضَحَّىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نِسَائِهِ بِالْبَقَرِ.

[الشرح]

وهذه أيضًا متابعة في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيها قالت: (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نَرَىٰ إِلَّا الْحَجَّ)، يعني حال خروجنا من المدينة كما بينا مرارًا، (حَتَّىٰ إِذَا كُنَّا بِسَرِفَ)، هنا طي في الرواية بينته الروايات الأخرى، (حَتَّىٰ إِذَا كُنَّا بِسَرِفَ)، سرف وادٍ قريب من مكة جدًا، وقال بعض أهل العلم: هو جبل قريب من مكة، والراجح أن المنطقة التي فيها الجبل والوادي تسمى سرف، وهي اليوم تسمى النوارية، قريبة من مكة، طبعًا النوارية سُميت بذلك لكثرة النورة فيها، مادة النورة، وكان الناس يعملون في النورة فيها، فسميت بالنوارية، وهي التي فيها سرف الجبل والوادي.

وأشار بعض أهل العلم إلى أن سبب تسمية الوادي سرف: أن سرف هي الأرض التي تأكل الخشب، الأرض التي فيها ما يأكل الخشب، فسمي هذا الوادي سرفًا لأنه فيه ما يأكل الخشب، النورة

والأردة وكذا كثرة ما يأكل الخشب فيها سمي الوادي بسرف، أشار إلى هذا الزمخشري، الشاهد: أن هذا الوادي في طريق المدينة، قرب مكة، قالت: (أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا، حِضْتُ فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي)، بكت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها لأنها ظنت أن الحيض سيمنعها من الحج، أو لأنها خافت أن تؤذي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومن معه، لنزول الحيض عليها، خافت أن يترتب على ذلك شيء يؤذي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة، ولذلك سيأتي في رواية أنها قالت: ودت لو أني لم أحج هذا العام، (فَقَالَ: «أَنَفِسْتِ؟» - يَعْنِي الْحَيْضَةَ)، طبعًا تقدم معنا أن الحيض يسمى نفاسًا، ويقاس: أنفستِ؛ لأن النفس تطلق على الدم، والحيض خروج الدم، قالت: (قَالَتْ - قُلْتُ: نَعَمْ)، انظروا هنا إلى خُلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطيب كلامه مع زوجاته.

الآن يا إخوة لو أن رجلًا خرجت معه امرأته إلى العمرة وأهلت بالعمرة، وقرب مكة حاضت، وقالت له: أنا حضت، الغالب إلا من رحم ربي أنه ينخر وينفر ويهيج ويسب ويشتم وما الذي جعلنا أخذك، أنت مثلك تبقى في قعر البيت، أنتِ مصيبة دائمًا، ما رأيت منكِ إلا شرًا، للأسف يا إخوة أصبح هذا الخلق خلق كثير منا، ما تعلمنا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال لها: «إِنَّ هَذَا شَيْءٌ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ»، فطيب قلبيها، وكأنه يقول لهاك ما ذنبك، هذا أمر كتبه الله على بنات آدم، وأنتِ مثلك مثل النساء، فلم يغضب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عليها، «فَاقْضِي مَا يَقْضِي الْحَاجُّ»، يعني استمري في عمرتكِ، «غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ»، فدل ذلك على أن الحائض لا تطوف بالبيت، وستأتي هذه المسألة إن شاء الله في نهاية الروايات، «حَتَّى تَغْتَسِلِي»، أي من حيضكِ.

قالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: (وَضَحَّىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نِسَائِهِ بِالْبَقَرِ)، وليس المقصود بضحى هنا يا إخوة الأضحية، وإنما المقصود أهدى، كما جاء في الروايات الأخرى، وهذا على التحقيق هدي واجب، وليس هدي تطوع كما ذهب إليه بعض أهل العلم، وذلك أن زوجات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كن متمتعات، لما حث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الناس على العمرة أهللنا بالعمرة، والمتمتع عليه هدي، وأمنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت قارنة، والقارن عليه هدي، فأهدى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن زوجاته بالبقر، وهذا دليل على أن الهدي يصح بالبقر، وهذا الذي عليه

جماهير علماء الأمة، والقول بانه لا يجزئ في الهدي شاذ ضعيف، لا عبرة به، كما أنه دليل على جواز الاشتراك في الهدي إذا كان من البقر أو الإبل.

فهو يجزئ عن سبعة، وإلى هذا ذهب جمهور العلماء، خلافًا لمالك، الذي لا يجزئ الاشتراك في الهدي الواجب، ولو كان من البقر أو الإبل، وتأول بعض المالكية هذا الحديث بأن هذا لم يكن الهدي الواجب وإنما هو هدي تطوع، مع أن المالكية أيضًا يختلفون في هدي التطوع هل يجوز فيه الاشتراك أو لا يجوز؟! وتأول بعض المالكية هذا الحديث بأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أهدى عن كل واحدة بقرة، قالوا: والبقر هنا جنس، ولكن هذا بعيد، والاشتراك في الهدي إذا كان من البقر أو الإبل ثابت بأحاديث كثيرة صحيحة.

[المتن]

قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

١٢٠ - (١٢١١) حَدَّثَنِي سُلَيْمَانُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ أَبُو أَيُّوبَ الْغَيْلَانِيُّ، حَدَّثَنَا أَبُو عَامِرٍ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ عَمْرٍو، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي سَلَمَةَ الْمَاجِشُونُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا نَذْكُرُ إِلَّا الْحَجَّ، حَتَّى جِئْنَا سَرِفَ فَطَمِثْتُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ: «مَا يُبْكِيكِ؟» فَقُلْتُ: وَاللهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ خَرَجْتُ الْعَامَ، قَالَ: «مَا لَكِ؟ لَعَلَّكِ نَفِسْتِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «هَذَا شَيْءٌ كَتَبَهُ اللهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ، افْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي» قَالَتْ: فَلَمَّا قَدِمْتُ مَكَّةَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «اجْعَلُوهَا عُمْرَةً» فَأَحَلَّ النَّاسُ إِلَّا مَنْ كَانَ مَعَهُ الْهَدْيُ، قَالَتْ: فَكَانَ الْهَدْيُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَذَوِي الْيَسَارَةِ، ثُمَّ أَهَلُّوا حِينَ رَاحُوا، قَالَتْ: فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ طَهَرْتُ، فَأَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَفَضْتُ، قَالَتْ: فَأُتِينَا بِلَحْمِ بَقَرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: أَهْدَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نِسَائِهِ الْبَقَرَ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْحَصْبَةِ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، يَرْجِعُ النَّاسُ بِحَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ وَأَرْجِعُ بِحَجَّةٍ؟ قَالَتْ: فَأَمَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْدَفَنِي عَلَى جَمَلِهِ، قَالَتْ: فَإِنِّي لَأَذْكُرُ، وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، أَنْعَسُ

فَيُصِيبُ وَجْهِي مُؤْخِرَةَ الرَّحْلِ، حَتَّىٰ جِئْنَا إِلَىٰ التَّنْعِيمِ، فَأَهْلَلْتُ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ، جَزَاءً بِعُمْرَةِ النَّاسِ الَّتِي اعْتَمَرُوا.

[الشرح]

وهذه أيضًا متابعة لحديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيها أنها قالت: (وَاللهِ، لَوَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ خَرَجْتُ الْعَامَ)، وقد أشرت سابقًا انها قد قالت ذلك لأنها ظنت أن الحيض سيمنعها من نسكها، أو لأنها خافت أن تؤذي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والصحابة الذين معه لأن الحيض قد نزل عليها وقد يترتب على ذلك ما يترتب مما قد يؤذي النبي صلى الله عليه والمؤمنين، قالت: (فَكَانَ الْهَدْيُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَذَوِي الْيَسَارَةِ)، أي وذوي الغنى، النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر من لم يسق الهدي أن يجعلها عمرة، أما من ساق الهدي فيبقى على نسكه، إلا أن يكون قد اعتمر فيدخل الحج على العمرة، وكان الذين ساقوا الهدي قلة، منهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنهم أبو بكر، ومنهم عمر، ومنهم طلحة، ومنهم الزبير، وذوي اليسارة أو ذوي الغنى وهم قلة، يقول قائل: جاء في حديث جابر وسيأتينا إن شاء الله: وليس مع أحد منهم هدي إلا النبي وطلحة؟

فظاهر حديث جابر أن الذين معهم الهدي هم فقط النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطلحة، قلنا: جمع الحافظ بن حجر بين الروايتين بأن كل واحد من جابر وعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أخبر بما علم، فجابر علم أن الهدي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطلحة فأخبر به، وعائشة علمت أن الهدي مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبي بكر وعمر وذوي اليسارة فأخبرت به، وهذا زيادة علم ما يضر ولا تعارض ولا تناقض، والعلم الزائد يُجمع مع غيره، فيتحصل من هذا أنا عرفنا من أسماء من كان معهم الهدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأبا بكر وعمر وطلحة والزبير ثم علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لأن النبي صلى الله عليه أشركه في هديه.

قالت: (ثُمَّ أَهَلُّوا حِينَ رَاحُوا)، أي أهل الذين تحللوا بالحج وقت رواحهم إلى منى، وذلك يوم التروية قبل الظهر، قالت: (فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ النَّحْرِ)، أي يوم العاشر، (طَهُرْتُ)، قال بعض العلماء: يعني كنت طاهرة، لأنها قد طهرت في عرفة، كما أشعرت به بعض الروايات وستأتي إن شاء الله، وقال بعض العلماء: بل إنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا رأت علامات الطهر وهي في عرفة، رأت علامات الطهر يعني أمارات

الطهر قبل تحققه، وهي في عرفة، ولكنها لم تطهر إلا يوم النحر، فتطهرت واغتسلت يوم النحر، وهذا أقوى من الأول، لأنه يأتينا في رواية أنها قالت: حتى نزلنا منى فتطهرت أي اغتسلت، ولا يمكن أن تطهر في عرفة وتغتسل في منى، لكنها في عرفة عرفت أنها ستطهر، المرأة تعرف نفسها، رأت العلامات التي تكون في آخر الحيض عندها، لكن طهراه حقيقة لم يقع إلا يوم العاشر في منى، فتطهرت واغتسلت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وأرضاها.

قالت: (فَأَفَضْتُ)، أي طافت طواف الإفاضة، (قَالَتْ: فَأُتِينَا بِلَحْمِ بَقَرٍ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ فَقَالُوا: أَهْدَىٰ)، هذا يفسر الرواية السابقة، (أَهْدَىٰ رَسُولُ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ نِسَائِهِ الْبَقَرَ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْحَصْبَةِ)، قلت لكم: هي ليلة الرابع عشر، (قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، يَرْجِعُ النَّاسُ بِحَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ وَأَرْجِعُ بِحَجَّةٍ؟) في هذا يا إخوة أن التمتع والقران أفضل من الإفراد، لأن عائشة رضي الله عنها هنا ذكرت ذلك على سبيل التفضيل، كأنها تقول: يفضلني الناس، يرجعون بعمرة وحجة وأنا أرجع بحجة، ولم ينكر عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما قال لها: بل أنتِ أفضل منهم، أو ما قال: بل الذي يرجع بحج أفضل من الذي يرجع بحج وعمرة، كما أن في هذا أن التمتع أفضل من القران، لأن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت قارنة، فهي تقول: يرجع الناس بحجة وعمرة يعني بالتمتع وأرجع أنا بحجة يعني بأعمال الحج فقط وإن كانت قارنة.

فهم أفضل مني ولم ينكر عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فدل ذلك على هذين الحكمين:

الأمر الأول: أن التمتع والقران أفضل من الإفراد، وأن التمتع أفضل من القران، بعًا يا إخوة معلوم أن من ساق الهدي فإنه ليس له التمتع ولا الإفراد فيكون النسك في حقه أفضل، يعني له الإفراد ليس له التمتع، فيكون النسك الأفضل في حقه هو القران، لأن القران أفضل من الإفراد، قالت: (فَأَمَرَ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْدَفَنِي عَلَىٰ جَمَلِهِ)، تقدم أن في هذا دلالة على أنه يجوز الارتداف على الدابة وأنه يجوز للمحرم أن يركب المرأة خلفه، المرأة التي هو محرم لها يجوز له أن يردفها خلفه، سواء كان أخًا أو غير ذلك، قالت: (فَإِنِّي لَأَذْكُرُ).

يعني أتذكر الآن حالي في ذلك الوقت، (وَأَنَا جَارِيَةٌ)، أي بنت صغيرة، (حَدِيثَةُ السِّنِّ)، لأنها لم تتجاوز الثامنة عشر من عمرها عند حصول هذا، (أَنْعَسُ)، المحدثون يروونها بضم العين، وأهل اللغة يقولون بفتح العين، يعني المحدثون يروونها: أنعس بضم العين.

وأهل اللغة يقولون بفتح العين: أنعس، (فَيُصِيبُ وَجْهِي مُؤْخِرَةَ الرَّحْلِ)، أي أنها مع النعاس ينخفض رأسها حتى يصيب وجهها آخر الرحل، هنا يصح أن تقول: حتى فتصيب وجهي مؤخرة الرحل، ويصح أن تقول: فيصيب وجهي مؤخرة الرحل، يعني يصح أن يُنسب الفعل إلى الوجه، ويصح أن ينسب إلى مؤخرة الرحل، لأنه في الحقيقة يقع من الطرفين.

وإن كان الأصل في الفعل أنه من الحي، ولكن الجماد أيضًا له فعل، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]، فكانت من النعاس وهو مبادئ النوم لأنها كانت في الليل ينخفض رأسها حتى تنحني فتصيب مؤخرة الرحل وآخرة الرحل، قالت: (حَتَّىٰ جِئْنَا إِلَىٰ التَّنْعِيمِ) بأمر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (فَأَهْلَلْتُ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ، جَزَاءً بِعُمْرَةِ النَّاسِ الَّتِي اعْتَمَرُوا)، وهذا كله قد تقدم ما فيه، فلعلنا نقف عند هذا الموقف.